الأهرام

المصدر: الاتحاد

التاريخ : ٢٦ فبراير ٢٠٠٥

بعد اغتيال رفيق الحريري

غازي العريضي

عاش الحريري من أجل لبنان الواحد الموحد العربي الديمقراطي المستقل وسقط شهيداً من أجل هذا الحلم ، وعرف اللبنانيون حقيقته لاحقاً أكثر مما كانوا يعرفونها قبل الجريمة .

يقال إن الشهيد الرئيس رفيق الحريري اغتيل بسبب حجمه السياسي الذي كان أكبر من المعادلة السياسية الداخلية اللبنانية، وبحكم تعدّد وتنوّع علاقاته ومعارفه، وسعة إطلاعه عن قرب ومن مراكز القرار الدولي مباشرة على مجريات الأمور وتطوراتها في منطقتنا والعالم وهي مترابطة مع بعضها بعضاً بشكل أو بآخر. لكن المؤكد أن قتلة الحريري فوجئوا بحقيقته، بل بحقيقة حجمه بعد استشهاده. لم يكن أحد يعرف الرجل على حقيقته التي ظهرت في يوم وداعه، ولا تزال علاماتها وفصولها وشواهدها تظهر كل يوم في لبنان خصوصاً وفي المنطقة والعالم عموماً. رفيق الحريري ظاهرة قد لا تتكرر. ولن يدرك اللبنانيون حجم خسارتهم بغيابه إلا بعد حين، وإن كانت المؤشرات بدأت تظهر سريعاً. وسيكتشف الجميع أنهم خسروه. لأن لبنان خسر طاقة استثنائية وقوة مؤثرة فاعلة متحركة على كل الساحات وقادرة على حماية البلد. وسيكتشف القتلة الذين خططوا للاغتيال ودرسوا كل الاحتمالات وحددوا مسبقاً أهداف هذا الاغتيال، أنهم كانوا على خطأ ولو حققوا بعض هذه الأهداف في المدى المنظور القريب.

لبنان مع رفيق الحريري شيء ولبنان بلا رفيق الحريري شيء آخر. وليس في ذلك انتقاص من أحد، كما ليس فيه تسليم بنهاية التاريخ أو القدر عند حدود رجل معين، ورفيق الحريري نفسه لم يكن يؤمن بذلك. لكن المعادلة تنطلق من قراءة سياسية وحساب سياسي سنرى فواتيره سريعاً أمامنا وهي مكلفة .

حدث الاغتيال وتداعياته لا يزالان يتصدران عناوين الصحف والأخبار، ويشكلان مادة أساسية في النقاش والتحليل في البرامج التلفزيونية، وفي مراكز الأبحاث والدراسات في لبنان والعالم دون مبالغة. وأسئلة كثيرة تطرح: إلى أين الطائفة السنية في لبنان؟ إلى أين لبنان؟ هل اغتيال الحريري نهاية مسيرة أم بداية مسيرة؟ وما هي المسيرة الجديدة المنتظرة والمسيرة التي انتهت معروفة؟ إلى أين لبنان وسوريا في ظل تصاعد الضغوط على القيادة السورية وتدهور العلاقات اللبنانية- السورية؟ إلى أين المنطقة؟ ماذا يجري فيها وماذا يخطط لها في العلن والخفاء في ظل تسليط الأضواء على الوضع اللبناني؟ العلاقات الدولية إلى أين بعد اغتيال الحريري؟ وهذا جانب من جوانب ظاهرة الرجل الشهيد! وقد يقول قائل: هل يجوز طرح مثل هذا السؤال؟ وهل العلاقات الدولية بتقاطعها أو تناقضها، باهتزازها أو بثباتها واستقرارها، وما يمكن أن تترك من تأثيرات إن ذهبت في هذا الاتجاه أو ذاك، هل يمكن أن تكون متأثرة باستشهاد الحريري، رئيس الحكومة السابق في لبنان، لبنان البلد الصغير؟

من مفاخر لبنان واعتزاز اللبنانيين أن الجواب نعم! فالعلاقات الدولية تغيرت بعد استشهاد الحريري وبسببه. نعم: هذه حقيقة. والتقارب الأميركي - الأوروبي عموماً، والأميركي - الفرنسي خصوصاً حصل بعد الاستشهاد وبسببه! وذلك بفعل علاقات الحريري بفرنسا، وكذلك بأوروبا وبأميركا، وبفعل انعكاسات وتداعيات عملية الاغتيال على علاقات تلك الدول بلبنان وسوريا، وشعورها بأن ثمة خللاً بل انحرافاً في العلاقات اللبنانية السورية، وعدم اكتراث سوريا بقرارات الشرعية الدولية، وبتوجهات المجتمع الدولي، ولم يحدث في تاريخ لبنان والمنطقة كي لا نذهب أبعد، أن تغيرت حسابات وظهرت تحولات وتلاقت سياسات وتعارضت سياسات أخرى وكان اللبناني رفيق الحريري في عمق دوائرها يوم كان حياً متحركاً فيها ويوم سقط شهيداً محركاً لها !

في لبنان، وحدة وطنية حقيقية بالمشاعر، وعلى الأرض إلى حدود بعيدة تجلت في مسيرته، وتتجلى يومياً حول ضريحه، وهي أكبر بكثير من أن يتناولها صغار في السلطة وخارجها يسيئون إلى لبنان عندما يسيئون إلى مظهر هذه الوحدة، ويحاولون تناوله من زواريب الحسابات الضيقة التي سقطت باستشهاد الحريري. كما يسيئون عندما يحاولون تجاهلها وتجاوزها ويعملون على إثارة الحساسيات والمشاعر داخل الطائفة السنية الكريمة التي لم يعد

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

زعيمها موجوداً، وإثارة حساسيات مذهبية، سنية شيعية، وحساسيات طائفية وكأنهم يدلون على أنفسهم كمستفيدين من الاغتيال وأصحاب مشروع يتلاقى مع أهداف الاغتيال بطريقة أو بأخرى. لقد عاش الحريري من أجل لبنان الواحد الموحد العربي الديمقراطي المستقل القوي المعمر والمتنامي والمتعافي وسقط شهيداً من أجل هذا الحلم، وعرف اللبنانيون حقيقته لاحقاً أكثر مما كانوا يعرفونها قبل الجريمة. وباستشهاده كانت قيامة جديدة للوحدة الوطنية ينبغي أن نحافظ عليها وأن تحمى وفي ذلك وفاء لدمائه وللانتماء الوطني اللبناني، وحرية وديمقراطية ورسالة لبنان الإنسانية وللعلاقات اللبنانية السورية التي كان أصدق الناس في سعيه من أجل تثبيتها وتقويتها، كما كان أصدق الناس في سعيه للدفاع عن سوريا ومصالحها وقد ظلمه سوريون وظلمه لبنانيون كثيرون يوم اتهموه باتهامات مختلفة، وشككوا فيه لكنه كان في حياته واستشهاده أصدق وأكبر وأوفى منهم للبنان وسوريا !

وفي المنطقة، حركة عربية ناشطة باتجاه سوريا لاتخاذ خطوات تمنع تعرضها لعقوبات وضغوط دولية أكثر ولحمايتها وحماية لبنان في آن معاً، لكن هذه الحركة ناقصة رفيق الحريري جسدياً. ليس فيها تلك القوة الدافعة والمدافعة عن لبنان وسوريا. لكنه المحرك والأساس باستشهاده، ولذلك تحرك محبوه وأصدقاؤه وعارفوه ومحبو سوريا وغير محبيها في الوقت عينه. ثمة شبه إجماع على ضرورة فعل شيء وعلى إنقاذ العلاقات اللبنانية - السورية مما أضيف إليها من أخطار وأثقال بعد استشهاد الرئيس الحريري، وعلى إخراجها من دائرة الاستهداف المباشر الضاغط والسريع، وهذا يستوجب عودة إلى الطائف، الذي ساهم في إرسائه رفيق الحريري وسقط شهيداً يدافع عنه وعن سلامة تطبيقه لكي تقوم مؤسسات قوية في لبنان، ويسود حكم القانون فيه وتتعزز علاقاته بسوريا، ونتمكن معاً من مواجهة كل التحديات. العودة إلى الطائف هي الأساس، وتطبيق الطائف هو الضمانة بكل بنوده وخصوصاً ما يتعلق منها بالانسحاب السوري. والطائف ينظم الانسحاب ولا يشرع الوجود الأبدي للقوات السورية، ولا أحد يريده كذلك. وإلى جانب ذلك ينبغي اتخاذ خطوات سياسية تتجسد بتشكيل حكومة انتقالية اليوم لتشرف على الانتخابات النيابية المقبلة، لأن الحكومة الحالية لم تكن حيادية من الأساس، ولم تحظ بثقة اللبنانيين، وسقطت صدقيتها كاملة بعد سلسلة ممارسات كيدية استهدفت مؤيدي الحريري وجنبلاط والمعارضة عموماً، وسلسلة اتهامات ساقها كبار المسؤولين في الحكومة ضد الحريري وجنبلاط واتهامهما مع أركان المعارضة الآخرين بأنهم عملاء لأميركا وإسرائيل، وصولاً إلى اغتيال الرئيس الحريري في هذا المناخ. كذلك فإن الحكومة الحالية هي جزء من سلطة قرارها مصادر ودور الأجهزة الاستخباراتية فيها هو الأساس وقد سقطت صدقيتها والثقة بها أيضاً بسبب ممارساتها على مدى سنوات واستقوائها بسوريا، ولجوئها الدائم إلى الأسلوب الأمني القمعي في التعاطي مع الناس وقد سبق اغتيال الرئيس الحريري محاولة اغتيال للوزير والنائب مروان حمادة .

إن محاسبة سياسية وأمنية ومعنوية وإدارية للمسؤولين الأمنيين المقصرين والمدانين بمسؤولياتهم عن هذا الفلتان في البلاد، وقيام حكومة انتقالية، واستكمال انسحاب القوات السورية سريعاً وفق الطائف، وتنظيم انتخابات حرة ونزيهة بعيدة عن كل الممارسات الإرهابية بالرغم من آثار تغييب الحريري، هي المدخل إلى حماية لبنان وسوريا من تطورات دراماتيكية آتية عبر عنها أكثر من مسؤول عربي ودولي في الأيام الأخيرة بعد إدراكهم معنى ومغزى وأهداف وأبعاد اغتيال رفيق الحريري في لبنان. فهل يدرك العقلاء المعنيون في سوريا هذا الأمر والكل ينتظر منهم مبادرة وخطوة ويتطلع إليهم إذ لا عقلاء وحكماء في موقع المسؤولية في لبنان؟ إنها لحظة المسؤولية التاريخية الأخطر ولابد من التقاطها!.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية